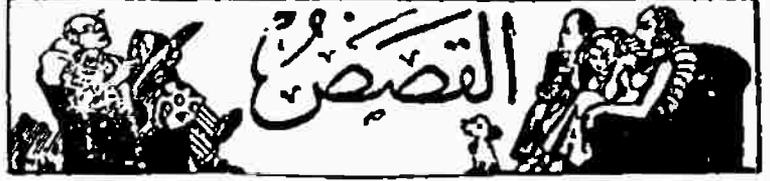


أرسل أنة خفيفة خافتة ، ثم قال يحدث نفسه : « سأنتشر هذا الخبر المحزن على عيني زوجتي »



لم تضطرب الزوجة لما سمعت ، ولم تحزن ، ولم تفزع من مكانها وهي جالسة أمام باب الدار تلتمس الدفء من أشعة الشمس ، وقد ارتدت خير ملابسها ، واتممت ، وربت شعرها في دقة وأناقة ؛ غير أن ملابسها وحذاءها ، وقد عبثت بها يد البلي ، ووجهها وقد شحب وتفضن وذوى جماله ، وعينها وهما تضطربان وقد خبا ضوءها وانطفأ بريقتها ؛ كانت كلها ترسم سطورا واضحة في تاريخ ناقتهما وعوزها

ومن أقصى المكان ارتفعت ضجة تشبه ما يسمعه إيليا دائما في المحكمة : فهؤلاء أصحاب الدار يتنازعون فيما بينهم أمرا ؛ وهذا الندى - وهو جزء من الدار - قد ضم جماعة يلعبون الورق ويمزحون في ضجة وصخب ؛ والزوجة لا يعينها ما يدور حولها . أما هو - هو إيليا - الزوج العاشق فقد وقف يراة زوجته يداعب شعرها في رفق وتجنب ويقول : « أفتعلمين ما أنا صانع ؟ سأذهب ... ! » قالت الزوجة : « إلى أين ... ؟ » قال : « إلى أين ؟ لملك لم تعي شيئا مما قلت ! إلى عمي أغسطينو طبعاً ! ما أجل ما أرى في هذا اليوم ... ! » قلما وقد كتم في نفسه أمورا استشعرتها الزوجة المسكينة فراحت تمدق في خذائه المزق مرقا أعيت على الإسكاف ، ثم قالت : « وأين لك بلال تستعين به على السفر ؟ » قال الزوج في ثبات : « إن ممي ما يكفيني ، لا يشنك هذا . إن كل ما في الكون بلد الحياة والجمال لو أن في النفس الهدوء والدعة . إن ما بهم المرء حقا هو أن يحب الناس ويمحسن معاملتهم . لقد شغلني هذا كل ساعات الصباح ... أفتريدين أن تقرأى ؟ » ثم قطع قصاصة من دفتره وألقى بها في حجرها وهو يبتسم ... ثم انطلق وما خلف من شيء سوى هذه القصاصة

انطلق ماشيا لأنه لا يملك سوى ثلاث ليرات ؛ وكانت فلسفته قد أوحى إليه ألا يتخبط بين هنا وهناك ، يقترض ، فيضيع وقته فيما لا فناء فيه ... هذا نوع من الرياضة تعود منه منذ زمان ؛ وما كان لشيء ما أن يزع عنه رزاقته أو يحول بينه وبين أن يصل إلى عمه أغسطينو ، وهو رجل سيار . قد سار في

الحذاء المشنوم

للطالبة اويطالية هيرازبا رليدا

ضائق سبل الحياة بالفنى إيليا كراى فهو لا يجد عملا ، وهو لا يدري كيف يزجى هذا الفراغ المريض الذى وقع فيه على حين فجأة ، إلا أن يقضى شطرا من نهاره في حجرة الانتظار بالمحكمة واضماً كراسه على ركبته يثبت فيها ماتوافيه به قريحته من أشعار يناجى بها زوجته الحبيبة ، لقد كان الضجيج يملأ يازائه ، والجوع تقاطر من هنا ومن هناك : فقغيرات النساء يتخاصمن على دربهات ضئيلة كلما يتنازع عن أقطار الأرض جميعا ، وشاهدو الزور يسيرون في هدوء وأناة يتفتنون شيئا ، وصغار الحمامين يندفعون هنا وهنا يفتشون عن سيد جديد ؛ هذا وإيليا جالس في هدوئه في زاوية الحجرة ، يكتب إلى زوجته بمض الشعر وكأنه لا يحس بما حوله شيئا :

« أنا أستطيع أن أرى الحياة بعيني عقلى ، فكل ما يدور في العالم مقدر قبل أن يكون . أنا شاعر فيلسوف ، فليس شيء في الحياة يثير في الدهشة لأننى أعلم أن الأيام تملأ بالمرء مرة وتسفل به أخرى . لا تقنطى - يا عزيزتى - فلربما تذكرنا عمي أغسطينو ، أغسطينو الذى طرد زوجته وجرمها ماله ؛ لعله يذكرنا يوما فنذهب إلى شاطئ البحر ميا ، نشهد القوارب تضطرب بين الأمواج الهائجة ، ونحن نسير ذراعا في ذراع كأننا عروسان في شهر المل ؛ على أننا - الآن - سميدان ، فالحب والاطمئنان يفمران قلبينا وحياتنا ، وأنت ياسيدار ؛ أنت فينوس هرموزا ؛ أنت ترأى وأنت ملكتى »

وفي صباح يوم من أيام الشتاء ، أحس إيليا وهو في مكانه من حجرة الانتظار ، حيث يجلس دائما ؛ أحس أن بدأ قوية تجذبه في عنف ، وسمع صوتا خشناً يناديه : « أسرع ! لقد كنت في (تيرانوفا) وعك هناك يمالج مرضا مخطرا ... » هذا صوت سائق بنبه إلى أمر ، ولكنه ما كان ليلسبه بمض هدوئه . لقد

نشاط وخواطره معلقة بمخاضه دون قدميه ، فهو يشفق عليه ويشفق ...

بلغ إيليا (أوروسى) - وهى قرية فى طريقه - ولم يحدث ما يعكر صفوه ؛ فالطريق مهد لا حب ، والطبيعة جميلة تمتو عليه لتنسيه بعض متاعبه . لقد كانت رحلة ممتعة ، فى ناحية من الأرض سحرية ، فالشمس تتألق كأنها ماسة كبيرة ، وترسل أشعتها الذهبية فى رفق على صخور الجبل ، والحشائش تضطرب تحت نيمات البحر الرقيقة . وحين اندفع هو فى طريقه تراءت له الزهور الرافقة -- زهور الربيع الجميلة - تنفث من عطرها الشذى فى روحه النشاط ، وتذكر فى أعصابه القوة ؛ ثم ... ثم انحسرت الشمس إلى مغربها ، فاستحالت حرارتها المنعشة إلى برد قارس تحمله نيمات الليل ؛ وأحس الرجل أن قدميه تتنديان ، وأن حذاءه قد انفرج عنهما من هنا ومن هنا ؛ فاضطرب وخائته رزائته الفلسفية حين بدا لعينيه أنه لا يستطيع أن يصلح حذاءه أو أن يجد غيره ؛ وأنه لا يقوى على أن يحمل هم الطريق وهم الحذاء الممزق مآ . وتمثل له ما يلاقه من مهانة واحتقار حين ينفو فى دار عمه رث الملابس ، زرى الهيئة ، ممزق الحذاء ، وهو لا يريد أن يكون هو ألم نفسه وغار زوجته حين يلج دار عمه فى مثل حذائه . لا يد أن يجد حذاء ؛ ولكن كيف ؟ إنه هو لا يدري ... وبعد فترة كان يسير فى شوارع القرية المهجورة للظلمة الندية وقد سيطرت عليه فكرة الحذاء الآخر . وفى ناحية من ساحة فندق هناك صغير يشع نوراً ذهبياً قويا جذب إيليا إليه ... جذبه لينام ليلته فى حجرة قدرة ، حيث ينام عاملان فقيران ؛ وقد كان غطيظ أحدهما يستلب إيليا من أفكاره ومن نومه مما . استلقى الرجل على فراشه وما فى رأسه غير صورة نعل جديد تراءى له أينما هفا خياله . فى الشارع ، فى الحقل ، فى زاوية الحجرة ، فى صندوق فى الزاوية الأخرى ، ثم هناك عند الباب وكانت تمور أحيانا إلى أخرى بالية ثم عن الفقر والفاقة . وظل إيليا تفزع الرع العاصفة ، والنطيط المدوى فى أرجاء الحجرة ؛ والساعات تمر ، وتعلق بصره بنجم يتألق فى السماء كأنه يسبح بين أمواج البحر المضطربة ؛ وخياله عند زوجته وهو جالس

إليها ينشر على عينها بعض أشماره الرقيقة الطلية ، وعند الحياة الناعمة التى يحياها إلى جانبها لو ظفر بما يملك عمه

وانتفض الرجل من فراشه بمدلأى وهو يضطرب ، وانحنى على حذاء العامل يريد أن يسلبه فوجده ثقيلاً واسمًا فتركه إلى حذاء الرجل الآخر ، غير أنه لم يجد شيئاً ، وطن فى مسميه صوت أقدام تدب خارج الحجرة فاضطرب ووقف فى مكانه وقد سيطر عليه الحزن والفرع ؛ وبدت له خسته فخرن ... حزن حزن القلب يستشمر الخطر المحقق ؛ وحين انحنى الصوت دلف هو إلى الخارج ليرى ... ليرى الردهة خالية إلا من بصيص من نور ، وإلا من قطة تحك جسمها فى الجدار ، وإلا من حذاء بإزاء القطة ، بدا فى عيني الرجل جيلاً ، فانطلق إليه يخيئه فى ثنايا معطفه ، ثم اندفع إلى الشارع فى هدأة الليل وسكونه . ولقد غادر الفندق لم يشعر به أحد ، ثم أسرع وراءى له وهو يسير على شاطئ البحر كأن كواكب السماء تتساقط رويدا رويدا لتفتخر فى هذه اللجة ، قال : « يا عجبا ! أكل شئ فى الطبيعة والإنسان يريد أن يهد ؟ » وظل يحدث نفسه هذا الحديث وهو يخب فى الظلام بين الصخور المظلمة والبحر الداكن

ومضت نصف ساعة جلس بعدها ليلبس الحذاء المروق ، لقد بدا عليه السرور والفرح - بادى الأمر - غير أنه مالبت أن استشمر الحسرة تفجؤه وتكاد تعصف به ، فراح يحدث نفسه « ماذا يكون لو أنهم تبعونى ؟ سيقولونى لاشك ، ماذا تقول زوجيتى إذن ؟ ستقول : ماذا صنعت يا إيليا ؟ أنتسرق حذاء ؟ أى فرق بينك وبين من يسرق مليون ليرة ، أيها السارق ؟

واضطربت الفكرة فى رأسه : « مليون ليرة ! أين هي ؟ أين أجدها لو وجدتها لا اختطفها لانى ولا أتباطأ ! » ثم تقطى وهو يبسم لهذه الخاطرة ، ومد رجليه وحرك أصابعه فى الحذاء الجديد ؛ يا عجبا ! القدرات على نفسه سحابة سوداء من السكابة مرة أخرى ، وشعر بدميه تتقدان ، وبأصابعه تحتلج كأنها تنفر من هذا الحذاء المروق ! لقد سار فى طريقه متكاسلا ، ومتأبطا حذاءه ليستطيع أن يلبسه إذا تبعه أحد ؛ ثم اضطرب وتوزعت الأفكار السود ؛ فهو يلتفت إلى وراءه بين الفينة والفينة ليرى من عساه يتبعه

نكص الرجل على عقبه ممتلخ العقل ، مأخوذ اللب ، يحدق في الحذاء اللقي في زهول وبلاهة ، أفيواريه التراب ؟ إنه إن فعل فإ غير من الحقيقة التي في رأسه ! أن هذا الحذاء مسروق ، وأنه هو السارق ...

وتردد إيليا حيناً ، ثم هوى إلى الحذاء يخفيه تحت طيات معطفه ، وارتد إلى القرية لا يستطيع أن يهبطها إلا أن يسدل الليل أستاره ، لقد غير يوماً كاملاً لا يطعم شيئاً ، فأحس بأعصابه تتراخي ومشى الهوينى يترنح كأنه عود ذاو تمصف به الرياح الهوج ، وولج القندق ثمانية وكأنه في حلم ، وعلى شفثيه كلمة الاعتراف ؟ غير أنه وجد المكان هادئاً كأن شيئاً ذا بال لم يكن ، ومرفا تعلق به بصر ، ولم تحم حوله شبهة ؛ فتناول طعامه ، ووضع الحذاء مكانه الأول ، ثم ألقى بنفسه في لجة من النوم العميق الهادئ ، فما استيقظ إلا عند ظهر اليوم التالي . وحين هم من مرقدته اشترى رغيفاً بما بقي معه من مال ثم سار ...

وبدا الجو في ناظري إيليا — مرة أخرى — جيلاً ، والوادي كأنه ييسم في رقة وظرف ، والنبات الأخضر تنبث منه القوة والنشوة ، وهو يندفع في سيره يفور نشاطاً وحياء على رغم هذا الحذاء المزرق الذي تموج فيه قدماء ، وهو — هو هذا الحذاء — كان يوقظ الرحمة والشفقة في قلوب الذين يرونه فيمنحونه بعض الخبز واللبن يتبلغ بهما

وبلغ دار عمه وقد أجهده السير وأضناه التعب ، ولكن الأمل كان يشرق في عينيه فيدفعه إلى الأمام ... لقد مات عمه منذ ساعات قليلة ، وراحت الخادم تنظر إليه في دهشة وهي تعجب : « أنت ابن أخيه حقا ؟ لماذا لم تسرع إلى هنا ؟ » ولكنه وقف سامتاً ، فاندفعت هي تقول : « لقد أرسل إليك منذ ثلاثة أيام وانتظر ... انتظر طويلاً وهو يذكرك ، ثم بداله أنك نسيتته ففقد الأمل . وحين أحس بالموت يكاد يقصم عوده أوصى بكل ما يملك إلى اليتامى من أبناء البحارة » ...

فارتد إيليا إلى داره يحمل إلى زوجته الحبيبة إلى نفسه خيبة الرجاء وضيعة الأمل وهو لا يستطيع أن يقول شيئاً ...

وانبثق الفجر كأنه شيطان مارد يحدجه بصينين فيها البغض والازدراء ؛ يطل عليه وقد قمته سحابة دكتاء من الضباب ليث في نفسه الفزع والرعب ، ولينذر بالفضيحة والويل ؛ وهؤلاء الناس — عما تريب — ينقلون إلى القرية مارين به ، وحين يسمعون قصة الحذاء المسروق يقول قائلهم ، : « نعم ، لقد رأينا رجلاً هناك يسير مضطرباً ، وقد تأبط حزمة يجنبها تحت معطفه ... »

ورأى — وهو يسير — فلاحاً يسير الهوينى ، في طريقه إلى القرية ، تخيل إليه أنه يحدق فيه ، ويلتفت إليه بين الحين والحين وعلى شفثيه ابتسامة السخرية والتهمك

ثم ... ثم انحسر الظلام عن نهار حزين كالحق ؛ وقد نشرت السحب ذوائب طويلة سوداء تصل بين الجبل الشاهق والبحر المضطرب ؛ والغريان تمر به وهي تنفق نعيمها الشؤوم ؛ وقد انطوى الجمال الذي أحسه بالأمس في هذه الناحية ؛ وبدت له الحياة عابسة تبتث في النفس الألم والضيق ، ودوت في أذنيه أصوات فزعته من مكانه لأنه رأى فيها أصوات الذين من خلفه يقصون أثره ويسخرون منه ؛ فاستبدل حذاءه القديم المزرق بالحذاء الذي سرقه ، وألقى به في ناحية ثم انطلق

لقد ألقى بعض هم حين ألقى الحذاء المسروق ، ولكنه ما يزال في اضطرابه ، وخياله ما يفتأ يصور له أشياء أ فهذان الساملان اللذان قضى معهما ليلته ، على أثره يطلبانه بعد أن وجدا الحذاء اللقي ... سيلبانه ثم يدفمان به إلى المحكمة ، وهناك ... وهناك ... ؛ وتراهى له جماعة يعذبونه ويعذبونه حتى يعترف ... ماذا تقول زوجته حين يترامى الخبر ؟ وتأججت الفكرة برأسه يؤرثها الإجهاد والبرد والجوع ، فانطرح تنازعه الخواطر الظلمة كما تتناول الرياح الشديدة العاصفة سحابة في كبد السماء ؛ ورجع إلى نفسه يلومها على أن طوحت به الأيام في هذه المتاهة ، يضرب في الأرض ، ويفقد الراحة والطمأنينة في وقت معاً ؛ ثم هو لا يطلب إلا سراياً أو أملاً كالسراب ، ومن يدوى ؟ لعله لا يستطيع أن يأتي بالحجة القاطعة يثبت بها أن أعسطينو هو عمه ... وبرغم هذا فهو قد ألصق بنفسه طاراً لا يفسل

وعى الرسالة

نصرة في القلوب والنفس والسياسة والادب

المجلد الأول
الثنى ٤٠ قرشاً

المجلد الثانى
الثنى ٤٠ قرشاً

المجلد الثالث
الثنى ٤٠ قرشاً

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبعت طبعا أنيقا على ورق متقيل ، وقد بلغت عدد صفحات كل منها خمسمائة صفحة ونيفا
وهى تطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثنى كل مجلد أربعون قرشاً عدا أجرة البريد